العرب
الإثنين 2021/11/15
السنة 44 العدد 12241

زين العابدين الأمين.. متصوّف الألوان المنتهية إلى اللاشكل

فنان مغربي يُقيم دهشة شعر خافتة عبر الرسم في أخاديد الذاكرة

يعدّ زين العابدين الأمين أحد الأسماء الشابة في عالم التشكيل المغربي، وهو الذي شقّ اسمه بثبات وعطاء مُبتكر ضمن ما بات يصطلح عليه اليوم بالموجة الجديدة التي لا ترى بوجود مسار محدّد يؤطّر المنجز الفني، بل تجعل من الانفتاح على استدراج مختلف الوسائل والأجناس في تداخل بينها، أساسا ومنطلقا تعتمده في ما تتبنّاه من حداثة.

عدنان بشير معيتيق
فنان تشكيلي ليبي

تُعتبر تجربة الفنان المغربي زين العابدين الأمين امتدادا طبيعيا لتجارب تشكيلية كانت الأساس لفكرة الفن التجريدي في المنطقة العربية.

والمغرب بلاد التنوّع الثقافي والزخم المعرفي والفني في الموروث الأصيل لفن ضارب في عمق التاريخ متكئ على حضارات عريقة وذات صفات مميزة لموقعها الجغرافي الواقع على ثلاث جهات من العالم، بين عمق الحاضنة الأفروعربية ومحاذاة أوروبا حضارة عصر النهضة وما بعدها وفي وجهة المحيط وما وراءه من الحضارة الجديدة، أميركا، التي كانت قد ساهمت في تشكيل مفاهيم الفن الجديد بعد أن أصبحت وجهة أغلب الفنانين من أوروبا وكل قارات العالم الأخرى، فغدت المكان الذي تكرّست فيه كل المدارس الحديث لفنون ما بعد الحرب العالمية الثانية وكل الحركات الرائدة في مجال فن الرسم الحديث.

تجريدية تشخيصية

التجريدية هي وجهة المغربي زين العابدين الأمين في تجربته الفنية مع ملامح تشخيصية تظهر على استحياء في أغلب أعماله، والتي تتّخذ من الحشود المصطفة في حالة المسير ثيمة أولى في عبورها أبواب الانعتاق في بعض الأحيان تحيطها أسلاك شائكة تمنعها من الحركة، وفي أحيان أخرى تتحوّل إلى حجارة صمّاء، وهي في ذلك كأنها محاولة للعودة إلى مناطق جغرافية جمعت التاريخ بأسره في قصص وحكايات، فتوحات وحروب، أقواس وقباب، أسبلة وأزقة ظليلة تتسلّل إليها إضاءات بدايات النهار.

الأمين يعتمد على مفردات تشكيلية حديثة من القاموس العالمي، ويضفي عليها مفردات مغربية برموزه المحلية

مساجد، كنائس وأديرة، بيوت بيضاء وظلالها البنفسجية النائمة على خدّ المحيط الأطلسي ذات الطابع المغربي الأصيل، قلاع وحصون من زمن الأدارسة إلى ما قبله من حضارات الأوّلين متعاقبة عبر الآلاف من السنين أصبحت متاحف مفتوحة لمخيلة الفنان ومصادر الإلهام عنده، بحث بمثابة تجوال وفسحة تشكيلية للمنجز العالمي والموروث الفني المحلي الذي تشكّل في منتصف خمسينات القرن الماضي من جماعة مدرسة الدار البيضاء.

ابتعد الفنان عن محاكاة البنية القديمة بشكل مباشر كعملية "النسخ واللصق" كما فعل الكثير من الفنانين بأسلوب المدارس التقليدية الأولى، أو تلك التي تنازلت أكثر لأصحاب الذائقة الهابطة وأصبحت أعمالهم من مقتنيات متاجر السواح والنسخ الصينية المتعدّدة، بل كانت أعماله دائما حاضرة في المناطق الطازجة ذات التزيينية الروحية.

تناول قصصه بمنظور يتحرّك وفق منطق جوّاني يعتمد على حساسية فنية جديدة مع خبرة ومعرفة متراكمة عبر سنوات من العمل والتواصل مع تجارب الآخرين بمختلف اتجاهاتها، خصوصا التجارب الأوروبية وما تحمله من حداثة، فمحسّناته التشكيلية التي اعتمدها في عمله حديثة المنشأ، والتي لا يتواصل معها إلاّ أصحاب المعارف والفهم التشكيلي الحديث في أساليب مدرسة التجريد، وكانت المغرب من أهم البلدان التي تبنتها في أوقات مبكّرة عندما ظهرت إرهاصاتها الأولى في منتصف الخمسينات من القرن الماضي بأبطالها الأوائل من الفنانين المغاربة أمثال الجيلاني الغرباوي وأحمد الشرقاوي.

اقترب أكثر من العمل الذاتي والمنجز الفردي المبتكر، وكانت للمدوّنات الإسلامية والمنمنمات والرسومات المصوّرة التي تصنع شكلا منضبطا ومتوازنا وشيئا من السيمترية (التماثل) والتكرار في بعض أعماله الفنية نصيب منها بشيء من التحرّر وحرية الأداء والملامح الفطرية في أشكاله المرسومة في دوائر ومرّبعات تتّخذها إطارا لأعماله، لتقترب من المدونات المرسومة في الموروث الشعبي القديم على السجاد والأواني الفخارية والزليج المغربي في المساجد والمنازل العتيقة، فيحاكيها بأنفاس جديدة تعبّر عن روح عصرها بقصص الزمن الراهن وحكاياته.

النهل من ثقافتين

أعمال الأمين الفنية مناخات لونية متعدّدة تحتفي بثقافة المادة من جهة، والأثر المتروك من فرشاة الرسم في أعماله هي نتيجة حتمية للثراء البصري عنده وعمله المتواصل في حقل التجريب من جهة أخرى، حيث تتجاور مناطقه الفنية بآخر منجزات فن الرسم في الأساليب الغربية مع الحفاظ على أنفاس زكية من الموروث المغربي الأصيل، كأنها خلاصة القول في اختزال الأفكار والتلوين بفرشاة زاهدة في الاستعراض والمهارة غير المبرّرة، تتكئ على نماذج داخلية من صور أحلام محفوظة ودهشة شعر خافتة مُضاءة على شطآن بعيدة تلوح أمام أنظار مراكب الصيد التائهة والباحثة عن النجاة في غمرة عاصفة عالم اليوم.

يعتمد الفنان على مفردات تشكيلية حديثة من القاموس العالمي، الفن الراهن في أوروبا وأميركا، ويضفي عليها مفردات مغربية ورموزه المحلية ويدعمها بهياكل بنائية تشبه خطوط مثلثات مدن المغرب وأقواسها وانحناءاتها في تكوينات مبتكرة تصنع لوحات جديدة في إضافة للمشهد المغربي المفعم بحيوية التجديد من الفنانين المغاربة الشباب أصحاب الموجة الجديدة في فن الرسم.

والفنان زين العابدين الأمين من مواليد الدار البيضاء سنة 1976، تعلّم ودرس بها حيث التحق بمدرستها وتحصل على شهادة البكالوريوس شعبة فنون تشكيلية بتفوّق، وتجوّل في مراحل تجريبية عبر مدارس وأساليب وتوجهات فنية عالمية ومحلية كنوع من البحث عمّا يناسبه واكتشاف مناطقه الظليلة الخاصة بذائقته ورؤاه التي أصبحت واضحة المعالم في تجربته الراهنة بعد عمل مضن وبحث متواصل واطلاع واسع، تلك التجربة التي تنتمي إلى الموجة الجديدة من الرسامين المغاربة الشباب ذات الخصائص الأصيلة والمعاصرة في آن والتي تميزهم الثقافة الرفيعة في تكوين تجاربهم. مناخ الأسرة التي ينتمي إليها الفنان ساعد على تشكّل وعيه المبكّر في الفن التشكيلي، حيث أن الكثير من أفراد عائلته كانوا من الذين تحصّلوا على شهادات في الفنون التشكيلية ولهم علاقة وطيدة بهذا المجال، فكان من الطبيعي لفرد يحمل في روحه بذرة الفنان أن ينمو في تربة مناسبة جدا مع مجهود الفنان الشخصي في التحصيل العلمي في هذا المجال مع العديد من الورش والدورات التدريبية الأخرى التي بلورت تجربته التشكيلية.

أحلام محفوظة في الذاكرة

التجلي والاختفاء في آن واحد

كان أول معرض للأمين سنة 1997، ومن بعدها توالت مشاركاته الدولية خارج المغرب، إضافة إلى تنظيمه عددا مهما من الملتقيات الدولية داخل المغرب وخارجه جمع فيها العديد من التجارب الفنية المهمة من بلدان العالم إضافة إلى البلدان العربية الأخرى، ومن أهمها ملتقى إبداع الطالب الدولي المنظم من قبل جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، حيث شارك في إدارته لمدة ثلاث عشرة سنة، وكذلك الإقامة الدولية للفنانين التشكيليين سنة 2014 ببوزنيقة، ثم الإقامة الدولية للفن التشكيلي لأزمور سنتي 2013 – 2015، وآخرها بينالي ساريا بإسبانيا.

وللفنان العديد من المعارض الفنية الفردية، أهمها تلك التي احتضنها رواق ديلاكروا بطنجة، ورواق محمد الفاسي، ورواق باب الكبير، ومؤسسة محمد السادس بالرباط، ورواق نظر بالدار البيضاء في خمس نسخ، وآخرها معرضه "امتلاء" برواق نظر للفن الحديث 2020.

«جرار الرّوح».. معرض للمصرية منى حمدي يفيض بالرموز الفرعونية

الأقصر (مصر) – الفيوض الإنسانية وقبول الآخر هما الفلسفة التي تدور حولها لوحات المعرض الأخير للفنانة التشكيلية المصرية منى حمدي، الذي احتضنه غاليري وهبة في ضاحية الزمالك بالعاصمة المصرية القاهرة.

والمعرض الذي حمل عنوان "جرار الرّوح" احتوى على ثلاث وأربعين لوحة دارت في فلك الرسائل الإنسانية والرموز والعناصر المستلهمة من الحضارة المصرية القديمة.

وجميع الأعمال الفنية في المعرض جاءت كنتاج رحلة قامت بها الفنانة المصرية إلى مدينة الأقصر الغنية بمعابد ومقابر ملوك وملكات ونبلاء ونبيلات مصر القديمة، في صعيد مصر، وتجوّلها وسط معابد ملوك وملكات مصر القديمة، ووقوفها وسط أفنية المعابد الضخمة، ورؤيتها لمظاهر عظمة خلود الحضارة المصرية وتاريخها ومعالمها، بجانب تعرّفها عن قرب على المعالم الأثرية المصرية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، واطلاعها على ما يرتبط بتلك الحضارة من القصص والحكايات المختلفة التي تقترب في تفاصيلها من الأسطورة، والتي تأثّرت بها كثيرا، حيث يظهر ذلك التأثر جليا في معرضها "جرار الرّوح" الذي حاولت من خلاله استعادة روح ورموز وحضارة مصر القديمة برؤية فنية معاصرة.

وتعدّ الأقصر من أعرق وأغنى مدن العالم بالأعمال التشكيلية التي يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف عام، ففي غرب المدينة ترك الفراعنة العشرات من المعابد وقرابة ثماني مئة مقبرة للملوك والملكات والأشراف والنبلاء، وهي مليئة باللوحات الفنية والتماثيل الضخمة حينا والصغيرة حينا آخر، بجانب العشرات من قطع الأوستراكا التي رُسمت عليها رسوم كاريكاتيرية ساخرة، رسمها قدماء المصريين للسخرية من حكامهم ومن الحياة بكل أشكالها وصورها، وكل هذه الفنون القديمة ألهمت الفنانة لوحات جديدة مُعاصرة تسرد هذا التاريخ وتحتفي به وبإبداعات المصريين القدامى.

ويقول المهتمون برصد تاريخ الحركة الفنية التشكيلية في العالم إنه لولا الفنانين التشكيليين الذين كانوا ينتشرون في الأقصر –وغيرها من مدن مصر التاريخية مثل أسوان وقنا وسوهاج والمنيا والجيزة وغيرها– لما عرفنا شيئا عن الحياة في مصر القديمة، ولما عرف العالم شيئا عن تاريخ الفراعنة وفنونهم وعلومهم، فمعظم المعلومات التي توفّرت عن الحياة في مصر القديمة وعن تاريخ ملوكها أتت من تلك الأعمال التشكيلية التي تكتسي بها جدران وأسقف معابد ومقابر الفراعنة التي احتوت على أروع الفنون والنقوش والرسوم وأعمال نحت التماثيل واللوحات الجدارية التي تجذب أنظار العالم.

ومن هنا فإن العالم مدين في معرفة ما وصله من صور وقصص وروايات عن حياة الفراعنة للفن التشكيلي بكل ألوانه من نحت ونقش ورسم وحتى الكاريكاتير، وهي من آثار الفراعنة وفناني مصر القديمة الذين أبدعوا لوحات وتماثيل تنطق بعظمة الفن في مدن مصر القديمة بوجه عام وفي مدينة الأقصر بوجه عام.

وحول مفردات وموضوعات أعمالها بشكل عام قالت الفنانة المصرية الشابة إن تلك المفردات والموضوعات في تغيّر مستمر وإنها كثيرا ما تكون من نتاج التجارب اليومية التي تعيشها، وإنها تحبّ دائما خوض التجارب الفنية الجديدة، حيث تارة تستخدم مفردات من التاريخ مثل التي احتضنها معرض "جرار الرّوح"، ومعرضها السابق الذي حمل عنوان "ملامح زمن"؛ فهما –أي المعرضين– نتاج تجارب لها علاقة بالسفر والقراءة في التاريخ المصري القديم.

منى حمدي تقدّم في المعرض ثلاثا وأربعين لوحة تدور في فلك الرسائل الإنسانية المستلهمة من الحضارة الفرعونية

وأشارت حمدي إلى أن الأعمال التي سبقت المعرضين الأخيرين كانت نتاج تجارب شخصية لها علاقة بمواجهة مخاوفها الذاتية وحياتها، فكانت العناصر وقتها مستلهمة ممّا يدور في عقلها الباطن وما مرّت به من تجارب يومية.

وأكّدت التشكيلية الشابة "الفن بالنسبة إلي هو المنفذ الدائم للتعبير عن أفكاري ومشاعري، وهو البوابة التي تصل أفكاري للعالم من خلالها، وهي جسري للتواصل مع الآخر".

وحول رؤيتها لحاضر ومستقبل الحركة التشكيلية في بلادها أكّدت حمدي أن مصر تشهد الآن حركات تشكيلية جديدة وتحركات كبيرة في الأوساط الفنية، وأن أنواعا جديدة من الفنون الحديثة ظهرت من خلال المعارض التشكيلية في كامل ربوع البلد، وباتت مصر تشهد حاليا الكثير من عروض الفن المعاصر بجانب انتشار الفن في الشوارع، في تفاعل حي ومباشر بين الفنان والمتلقي، معتبرة أن ذلك يُعدّ خطوة رائعة سيتغيّر بعدها المشهد الفني وسيصبح أكثر تواصلا وقربا من الحركة التشكيلية العالمية.

ومنى حمدي فنانة تشكيلية مصرية درست فنون الغرافيك بكلية الفنون الجميلة في الزمالك، وشاركت في العديد من الملتقيات والمعارض الفنية الجماعية في مصر، وأقامت أول معرض شخصي لها في كلية الفنون الجميلة بمدينة الأقصر، وقد نالت العديد من الجوائز، ولها مقتنيات فنية في مصر وعدد من البلدان الأجنبية، من بينها مقتنيات في إيطاليا وكوريا الجنوبية وتايوان واليابان وتركيا والمكسيك.

مفردات تشكيلية مستلهمة من حضارة مصر القديمة